المطلب الثاني: مفهوم السياسة الشرعية في القرآن والسنة

1- السياسة الشرعية في القرآن الكريم:

لم يرد لفظ السياسة الشرعية في القرآن الكريم بنصها، ولكن ورد مضمونها ومعناها بألفاظ أخرى، مثل لفظ الملك والحكم والتمكين والشورى والخلافة وغيرها ، لذلك يدعي البعض ممن يعادي الإسلام أو يجهل أحكامه بأن الإسلام لم يهتم بالسياسة وأن السياسة ليست من الدين[1] ، وقد وردت هذه الألفاظ في آيات كثيرة منها:

قال تعالى: **[فَقَدْ آَتَيْنَا آَلَ إِبْرَاهِيمَ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَآَتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا]** [النساء:54] .

وذكر من آل ابراهيم يوسف عليه السلام الذي ناجى ربه فقال: **[رَبِّ قَدْ آَتَيْتَنِي مِنَ المُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ]** [يوسف:101] ، وكذلك ممن آتاهم الله الملك: طالوت الذي بعثه الله ملكاً لبني إسرائيل ليقاتلوا معه وتحت لوائه، قال تعالى: **[وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا] [البقرة:247]** .

وكذلك سليمان عليه السلام الذي دعا الله تعالى أن يؤتيه مُلكاً لا ينبغي لأحد من بعده، وقد استجاب الله دعاءه ، ومن الملوك الذين ذكرهم القرآن: ذو القرنين الذي مكنه الله في الأرض وآتاه من كل شيء سبباً، حتى اتسع ملكه من المغرب إلى المشرق[2] ، قال تعالى: **[وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي القَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ وَآَتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا] [الكهف:83-84]** .

وكذلك ذكر القرآن ملكة سبأ، حيث قام مُلكُها على الشورى وليس على الاستبداد والقهر قال تعالى: **[قَالَتْ يَا أَيُّهَا المَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ] [النمل:32]** .

وتحدث القرآن عن بعض الملوك دون أن يمدحهم أو يذمهم، مثل ملك مصر الذي ولَّى يوسف عليه السلام على خزائن الأرض، وأوضح بعض تصرفاته الحسنة في إدارة الدولة والتخطيط في الجانب الاقتصادي وهذا يشير إلى حسن سياسته في حكمه للبلاد وهو من

---

[1] - يوسف القرضاوي: الدين والسياسة تأصيل ورد شبهات، ص28 .

[2] - القاسمي : محاسن التأويل 89/11 .

السياسة تحت كلمة غير السياسة مثل التمكين حيث جاء قوله تعالى: **[وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ] [يوسف:56]** وكذلك قوله عن المهاجرين: **[الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآَتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ المُنْكَرِ وَللهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ] [الحج:41]** .

وجاءت كلمة "الحُكم" ومشتقاتها في الكثير من آيات القرآن الكريم لتوضح إدارة الدولة الإسلامية في الداخل والخارج ضمن سياسات عادلة وحكيمة[3] قال تعالى: **[إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالعَدْلِ] [النساء:58]** .

وأكد القرآن على الحاكمية لله في المجتمع وحذّر من الافتتان بالمناهج الأرضية الساقطة والانجراف مع أحكام الجاهلية قال تعالى: **[وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكَ] [المائدة:49]** .

فالقرآن بين بأن الأنظمة الجاهلية مثل الأنظمة الرأسمالية والصهيونية وقوى الاستعمار والظلم تسعى جاهدة لإبعاد المسلمين عن تطبيق منهج الله في جانب الحكم والسياسة والاقتصاد والجهاد على أن يبقى الإسلام طقوساً وشعائر مفرغة من مضمونها،لا تحكم إلا الجوانب المتعلقة بفقه الطهارة والأحوال الشخصية.

2- السياسة في السنة النبوية:

جاء لفظ السياسة في السنة النبوية الشريفة ، عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: **(كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي، وسيكون خلفاء فيكثرون، قالوا: فما تأمرنا؟ قال: ... ببيعة الأول فالأول، وأعطوهم حقهم الذي جعل الله لهم، فإن الله سائلهم عما استرعاهم)** [4] أي: تتولى أمورهم كما يفعل الأمراء والولاة بالرعية .

---

[3] - عبد الوهاب الكيالي وآخرون: موسوعة السياسة 587/6 .

[4] - صحيح البخاري ،كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، حديث رقم 3455 ، 169/4 .

أما السياسة بمعنى الحكم فقد وردت في قول عمرو بن العاص لأبي موسى الأشعري في وصف معاوية: إني وجدته ولي عثمان الخليفة المظلوم، والطالب بدمه، الحسن السياسة، الحسن التدبير، وكذلك ما جاء عن عمر بن الخطاب حيث قال: قد علمتُ – ورب الكعبة – متى تهلك العرب، فقام رجل من المسلمين فقال: متى يهلكون يا أمير المؤمنين؟ قال: حين يسوس أمرهم من لم يعالج أمر الجاهلية ولم يصحب الرسول ﷺ[5] .

[5] – يوسف القرضاوي : الدين والسياسة تأصيل ورد شبهات، ص31.